



مختصر خطبة صلاة الجمعة 12/8/2022 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكى

(مفهوم العبادة)

ما العبادة؟ هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ما أوقاتها؟ وقتها عمر المكلف كله.

أين تقام؟ تقام في كل ساحات الحياة في المسجد والمنزل، في المعمل والمشفى، في المزارع والمحاكم، في المدرسة والجامعة والملاعب.

مؤانسة الزوجة وبرها عبادة ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19]، طاعة الزوج وبره عبادة ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَاتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: 34]، تربية الأبناء عبادة ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: 6]، الوفاء بالعقود في معاملتنا الحياتية عبادة ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1]، الحشمة والعفة عبادة ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: 33]، العدل في الحكم عبادة ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58]، دعوة الخلق إلى الله عبادة ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125]، دراستك في المدرسة أو الجامعة أو الجامع أو المنزل عبادة ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، سعيك في الأرض لتحصيل المال الحلال عبادة ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: 15]، الصبر على الشدائد عبادة ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: 200]، الصلاة والزكاة عبادة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: 43]، وهكذا فحياة المسلم كلها عبادة وأزمته كلها عبادة وفي كل مكان حل به يقيم عبادة، يتقرب بها إلى الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162، 163].

من أخطر الانحرافات التي وقعت في ذهن المسلم انحرافه في فهم العبادة، عندما قَصَرَ العبادة على أداء الشعائر التعبدية من: صلاة، وصيام، وحج، وأوراد، وقراءة قرآن فحسب، ورأى المعاملات والأخلاق والمباحات وغيرها لا يدخل في العبادة. فتحوّلت العبادة من مفهومها الشامل الواسع الذي يسع الحياة إلى مفهوم ضيق ينحصر في زاوية من زوايا الحياة، فهوت الأمة وأفرادها من ريادة البشرية إلى فريسة تنهشها الذئاب.

إنّ هذا المفهوم الضيق للعبادة صنع مسلماً صائماً مصلياً قارئاً للقرآن لكنه لا يتورع أن يغشّ، أو يُراي، أو يظلم، أو يملأ بيته من وسائل الإفساد ما الله به عليم! وصنع مسلمة صائمة مصلية لكنّها لا تتورع أن تطلب طلاقاً من غير ما بأس وأن تترك ولدها الرضيع من دون راعية وأن تخالط من شاءت وكيف شاءت! وصنع شباباً يتواعدون للاجتماع على معصية بعد أدائهم لصلاة مفروضة يقولون: ساعة لك وساعة لربك!

وعلى الطرف المقابل صنع هذا المفهوم الضيق للعبادة أناساً يتشدّدون في الشعائر ويُفَرِّطُونَ فيها ظانين ألا عبادة إلا هنا!

لقد نسي هؤلاء أنّ الحياة كلّها ساحة للعبادة ونسوا أن «المسلم الذي يُخالط الناس، وَيَصْبِرُ على أذاهم خير من الذي لا يُخالط الناس، ولا يَصْبِرُ على أذاهم» (الترمذي) ونسوا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأزفد، وأتزوّج النساء، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (البخاري ومسلم).

والحمد لله رب العالمين